6

صحيح البخاري (٥)

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شَرِيكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)} [آل عمران].

قال تعالى:{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)} [النساء].

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)} [الأحزاب] أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد – صلى الله عليه وسلم– وشر الأمور مُحدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نواصل إن شاء الله شرح مختصر كتاب العلم (صحيح البخاري)

بَابُ قَولِ النبِي صَلى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ:(رُبَ مُبَلغٍ أَوعَى مِن سَامِعٍ)

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا بِشْرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَوْنٍ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، ذَكَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَعَدَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَأَمْسَكَ إِنْسَانٌ بِخِطَامِهِ – أَوْ بِزِمَامِهِ – قَالَ: «أَيُّ يَوْمٍ هَذَا»، فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ سِوَى اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا» فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ بِذِي الحِجَّةِ» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، بَيْنَكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ» أخرجه البخاري(٦٧).

استدلَّ الإمام البخاري رحمه الله من الفقرة الأخيرة عنوان لهذا الباب فجعله تحت عنوان : **قَولِ النبِي صَلى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ:(رُبَ مُبَلغٍ أَوعَى مِن سَامِعٍ).**

ابتداءً : فائدة وهي:

قد يكون هناك شخص من أهل العلم ولكنه ليس على دراية بكل شروح الأحاديث.

والمقصود: أنه من الجائز أن يحفظ الإنسان أحاديث رسول الله ﷺ ويدخل في زُمرة أهل العلم وليس لديه إلمام بجميع الأحكام.

مثال: حفظ إنسان صحيح البخاري أو صحيح مسلم أو الترمذي أو أي كتاب جُمعت فيه أحاديث رسول الله ﷺ حفظًا جيدًا بأسانيد صحيحة فعده

العلماء من أهل العلم حتى وإن لم يكن يعلم علمًا جازمًا أو كاملًا أو على دراية كاملة بأحكام الأحاديث.

راوي الحديث هو: عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ: عبد الرحمن بن أبي بكرة نفيع بن الحارث ويقال اسم أبيه مسروح الثقفي أبو بحر وقيل أبو حاتم، ولد في خلافة عمر فكان أول من ولد في الإسلام بالبصرة.

أما أبيه فهو: أبو بكرة الثقفي الطائفي –رضي الله عنه– مولى النبي ﷺ، اسمه نفيع بن الحارث، وقيل: نفيع بن مسروح، تَدَلَّى فِي حِصَارِ الطَّائِفِ بِبَكْرَةٍ، وَفَرَّ إِلَى النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَأَسْلَمَ عَلَى يَدِهِ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ عَبْدٌ، فَأَعْتَقَهُ.

بدأ الحديث بقوله: قَعَدَ عَلَى بَعِيرِهِ: وقد كان هذا بمنى في حجة الوداع يوم النحر.

ثم قال: **وَأَمْسَكَ إِنْسَانٌ بِخِطَامِهِ – أَوْ بِزِمَامِهِ** :هما بمعنى واحد وهو خيط تشد فيه حلقة تجعل في أنف البعير لصون الْبَعِير عَن الِاضْطِرَاب والتشويش على رَاكِبه.

ثم سأل النبي ﷺ ثلاثة أسئلة فقال: **(أي يوم هذا؟ أي شهر هذا؟ أي بلد هذا؟)**، وفي كل مرة كان يسأل وينتظر الإجابة من الصحابة.

وسؤاله صلى الله عليه وسلم عن الأسئلة الثلاثة وسكوته عن الإجابة أراد بذلك أن يُبيِّن شيء معين فما هو؟ عندما سأل النبي ﷺ صحابته لم يكن

منتظرًا لإجاباتهم ولكنه سأل ليلفت الانتباه ويجذب الأذهان ولاستحضار الأفهام وليقبلوا عَلَيْهِ بكليتهم وليعلموا عَظمَة مَا يُخْبِرهُمْ عَنهُ.

وقد سبق أن بيَّنا أنه من السنة اختبار الأذهان فلا يُفرِط فيها المُعلم، لأن درس العلم إذا ورد بطريقة السرد فربما يحدث نوع من الملل أو السهو والغفلة عند الطالب، أما إذا بدأ المعلم في إلقاء الأسئلة فإن الحاصل هو جذب الأذهان ولفت الانتباه فيبدأ الطالب في استجماع النفس واستحضار العقل ليتمكن من الرد.

أراد النبي ﷺ أن يُبيِّن أمر هام فبدأ بالسؤال وتوقف عن الإجابة، وكذلك الصحابة لم يُجيبوا على أيٍ من هذه الأسئلة.

ثم سأل عن: (اليوم الحرام_الشهر الحرام_البلد الحرام)

فقال الصحابة: فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ سِوَى اسْمِهِ

{ وفي ذلك إشارة إلى:تفويض الأحكام للشارع وعدم الاحتكام إلى العقول }

فمن هو الناقل للشريعة في هذا الوقت؟ كان النبي ﷺ ولا أحد غيره، ومن الواجب عدم الاعتراض على الأمر والنهي.

أما بعد وفاة النبي ﷺ فإن الواجب هو عدم الاعتراض على الأوامر الواردة سواء من(الكتاب _السنة)لأن الاعتراض على أمر الله سواء ورد هذا الأمر في الكتاب أو السنة فإنه اعتراض على الشارع نفسه، وسواء أكان هذا في حضور النبي ﷺ أم بعد موته وغيابه، وليس هناك أيَّ رخصة تُبيح للشخص مخالفة الشرع أو الاعتراض عليه ورده، فهم الصحابة هذا فسكتوا وقالوا ما قالوه ظنًا منهم أنه سيُسمي الأشياء بغير

مسمياتها،وهل ستتسبب هذه التسمية لهذه الأشياء بغير أسمائها في حدوث نوع من الاضطراب أو الاختلاج أو الاعتراض؟ لن يحدُث هذا مع أنهم يعرفون هذه الأسماء وتوارثوها جيلًا بعد جيل، فلو أنه سمى الأشياء بغير أسمائها فله ذلك لأنه يتحدث بأمرٍ من الله ولا يأتي بشيء من قِبل نفسه.

وكان هذا هو الأدب الذي تربى عليه الصحابة وأدب كل طالب علم يعلم أن هذا العلم مأخوذ من الكتاب أو السنة فلا اعتراض ولا رد للأمر.

وقد ذكر الحافظ أن هناك روايات أخرى غير الرواية السابق ذكرها عند المصنف وغيره ورد فيها أنهم كانوا في كل مرة يسأل فيها السؤال يقولون الله ورسوله أعلم، فلم يريدوا أن يتكلموا بما لا يعلمون وهذا هو أدب آخر، فإذا كان الإنسان يجهل بأمر من أمور الدنيا فلا يجوز أن يتجرأ على الفتوى أو الكلام أو حتى إبداء الرأي من دون علم.

ثم قال: **(فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، بَيْنَكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا)**.

فلماذا قال: في يومكم، في شهركم، في بلدكم؟

قيل لأنه منذ أيام الجاهلية وقد تقرر في النفوس حُرمة هذه الأشياء الثلاثة (فكانت الأشهر الحُرُم وإن كانوا يُغيرون فيها ولكنها كانت معروفة عندهم_ وحرمة البلد كذلك) فأراد النبي ﷺ أن يُبيِّن أن الأمر الذي سيتكلم عنه هو في حُرمته كحرمة هذه الأشياء التي كانوا يعلمون مدى حُرمتها، فقدم هذه المقدمة من الأسئلة حتى يُقرِب للأذهان والعقول مدى خطورة الأشياء التي سيتم ذكرها، فقد شبه حرمة الدماء والأموال والأعراض

بحرمة اليوم والشهر والبلد، وحتى يُثَبِّت هذا في العقول والنفوس ويتضح مدى خطورة الأمر.

ثم قال: (لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ): والمقصود هو أن يبلِغ الحاضر للمجلس الغائب عنه.

وقد أخذ الله عز وجل الميثاق من أهل العلم بإبلاغ ما عندهم.

وكل مَن بلَّغَهُ النبي ﷺ وأمره بالتبليغ كان فرضًا عليه أن يُبلِّغ، فكل مَن قال له رسول الله ﷺ بلِّغ كان فرض عين عليه أن يُبلِّغ وبالتالي فإن مَن لم يُبلغ فإنه يأثم، فلما انتشر الدين أصبح هذا الأمر من فروض الكفاية فإذا قام به البعض سقط عن الآخرين

ثم قال: (فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ):

- **استنبط بدر الدين العيني من الفقرة الأخيرة بعض الاستنباطات الرائعة:**

١- يجب على العالم تبليغ العلم لمن لم يبلغه وتبيينه لمن لا يفهمه.

فوظيفة العالم والداعي أن يُبلِّغ العلم لمن يجهله بالإضافة إلى إفهام الناس ما لا يفهمونه وهذه ليست وظيفة فقط، لا بل أنه فرض عليه فعل هذا بموجب الميثاق الذي أخذه الله سبحانه وتعالى على العلماء في قوله تعالى:

{ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ (١٨٧)}[آل عمران]

فأخذ من أهل العلم الميثاق على بيان العلم للناس ولذلك فإنه لا يجوز أن يخفي العالم ما عنده من علم أو أن يبخل به على الناس حتى يظل هو المستحوذ وهو الأعلى وغيره دونه وأقل منه.

فأحياناً يستحوذ الشيطان على بعض العلماء وبالكاد يُعطون المعلومة للطالب، فيرتكبون بفعلهم هذا أمرًا محرمًا ولا يجوز بل على العالم أن يُبلغ كل ما عنده من علم ولكن بحكمة لأن لكل مقامٍ مقال، فما يُقال لطالب العلم الذي قطع باعًا على الطريق لا يُقال لطالب العلم المُبتدأ، وكذا ما يُقال لفئة من الناس فينفعهم قد لا يُجدي إذا ما قيل لفئة أخرى.

٢-أنه يأتي في آخر الزمان من يكون له من الفهم في العلم ما ليس لمن تقدمه.

وذلك لقول النبي ﷺ **(رب سامع أوعى من مبلغ)**

والمقصود بهذا هو: أن المُعلم قد يُلقي على أسماع الطلاب حديثًا ويكون من بين الطلاب طالب وفقه الله في هذا الوقت فكان أفضل من العالم لأنه توصَّل إلى استنباط أحكام من المسألة وعرف ما لم يعرفه العالم الذي روى الحديث.

بمعنى: بلَّغ شخص عدد من الناس بحديث ما، هذا الشخص الأول فهم من الحديث شيء معين أو جملة معينة أما مَن بلَّغهم فقد ذهب أحدهم ليبحث في المعاني والمسائل ووصل إلى أحكام واستنباطات من الحديث ففهم ووعى وعمل بما لم يعمله المُبلِّغ، ولذلك قال (رُبَّ) ولكن هذا لا يحدُث كثيرًا، لأن (رُبَّ) موضوعة للتقليل كما أن (عسى) موضعها الإطماع وليست لتحقيق الشيء، فالمفروض أن المُبلِّغ الذي يسمع ويبحث ويتعلم يكون أفضل من المُبلَّغ ولكن أحيانًا يكون العكس.

كما أن(عسى) موضعها الإطماع والكثرة.

كما قال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (١٩)}[النساء].

٣- وفيه أن حامل الحديث يجوز أن يؤخذ عنه، وإن كان جاهلًا بمعناه، وهو مأخوذ من تبليغه، محسوب في زمرة أهل العلم.

وهذا يعني: إمكانية الأخذ من حامل الحديث ولو لم يكن عارفًا لمعناه ولهذا قال النبي ﷺ قَالَ: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»أخرجه البخاري(٣٤٦١).

مثال: يمكن أن يؤخذ من إنسان يحفظ حديث ما حفظًا جيدًا إذا كان هذا الشخص ثقة وكنَّا على يقين من حفظه المُنضبط الوارد عن رسول الله ﷺ وإن لم يكن لديه إلمام بأحكام علم الحديث.

٤- وفيه أن ما كان حرامًا يجب على العالم أن يؤكد حرمته، ويُغلظ عليه بأبلغ ما يوجد كما فعل النبي ﷺ، في المتشابهات.

في الحقيقة أن بعض الدُعاة عند الكلام عن الأمور المحرمات فإنهم يجدون شيئًا من الحرج في صدورهم، وعند إرادة إبلاغ الناس بحرمة هذه الأشياء يأتي الكلام وبه شيء من الاستحياء، فيُبلَّغ عن تحريم الأمر ولكن بطريقة تفتح أمام السامع باب لمخالفة الشرع حيث أنه يتكلم عن أراء العلماء ويُدخل السامع في أمور لا شأن له بها.

مثال: يُسأل الشيخ عن حكم النمص فيرد : أن بعض العلماء قالوا أنه جائز ولكن الأولى تركه(هذا تمييع للمسألة).

كيف يُقال هذا وقد قال النبي ﷺ:

* عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: «**لَعَنَ اللهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالنَّامِصَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ**» قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا: أُمُّ يَعْقُوبَ وَكَانَتْ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَأَتَتْهُ فَقَالَتْ: مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ، لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: «وَمَا لِي لَا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ وَهُوَ فِي كِتَابِ اللهِ» فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ لَوْحَيِ الْمُصْحَفِ فَمَا وَجَدْتُهُ فَقَالَ: " لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: **{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [الحشر: ٧]** " فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: فَإِنِّي أَرَى شَيْئًا مِنْ هَذَا عَلَى امْرَأَتِكَ الْآنَ، قَالَ: «اذْهَبِي فَانْظُرِي»، قَالَ: فَدَخَلَتْ عَلَى امْرَأَةِ عَبْدِ

الله فَلَمْ تَرَ شَيْئًا، فَجَاءَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا، فَقَالَ: «أَمَا لَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ نُجَامِعْهَا» **صحيح مسلم(٢١٢٥)**.

كان الواجب على الشيخ أن يقول الحكم صريح واضح ففيه لعن.

واللعن يعني: الطرد والإبعاد عن الرحمة، إذن فهو من الكبائر.

لا يجوز للعالم أن ينقل الحكم خاصةً للعوام إلا بطريقة صريحة واضحة بعيدًا عن أقوال العلماء، ولكنه يفعل ذلك لأنه يخشى أن ينصرف الناس عنه _حتى لو كان هذا الأمر سيحدث فالواجب عليه هو إيصال الحكم لأنه حكم الله وأمره ولا نقاش فيه، فإذا ما سُئل عن حكم الله في مسألة معينة فالواجب عليه بيان الحكم كما أنه لا يجوز له أن يؤخر البيان عن وقت الحاجة، لكن هناك حكمة في طريقة الدعوة وبيان الأحكام خاصةً المُبتدئين.

فلننتبه: لأنه لا يجوز إخفاء أحكام الله أو تمييع القضايا حتى لا ينفض الناس من المجالس ففي هذا مخالفة للسنة جملةً وتفصيلًا وخيانة للأمانة، فلقد أخذ الله الميثاق على العلماء وأهل العلم أن يُبلغوا ما عندهم من علم وكان هذا هو هدي النبي ﷺ فلا يجوز العدول عنه.

٥- فيه جواز القعود على ظهر الدواب إذا احتيج إلى ذلك، لا للأشر والبطر، والنهي في قوله عليه السلام:(لا تتخذوا ظهور الدواب مجالس)، مخصوص بغير الحاجة.

٦- فيه الخطبة على موضع عال ليكون أبلغ في سماعها للناس، ورؤيتهم إياه.

فمن الآداب:عدم الجلوس على ظهر الدواب وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك رفقًا ورحمةً بالحيوان، ولكنه ﷺ عندما قال هذه الموعظة كان جالسًا على ظهر الدابة لبيان جواز فعل ذلك في حال إلقاء المواعظ، لأن الشخص الذي يقوم بإلقاء الموعظة لابد أن يكون أعلى من الحضور فينتشر الصوت وأيضًا يكون الواعظ مُشاهد من قِبَل الناس.

٧_ فيه مساواة المال والدم والعرض في الحُرمة.

ساوى النبي ﷺ في الحديث بين المال والدم والعرض في الحرمة لأن واو العطف تفيد المساواة.

٨- فيه تشبيه المال والدم والأعراض باليوم والشهر والبلد في الحرمة دليل على استحباب ضرب الأمثال، وإلحاق النظير بالنظير قياسًا.

فلماذا يُستحب ضرب الأمثال؟ لأن ضرب الأمثال وإلحاق النظير بنظيره يُقَرِّب المعاني للعقول فيكون من السهل فهم هذه المعاني، وقد ورد في القرآن الكريم أكثر من أربعين مثلًا، وقد جاءت لتوضيح وتقريب المعاني للعقول.

في الحديث أيضًا: تقرير لحقوق الإنسان وأنها محرمة على أخيه الإنسان مطلقًا بصرف النظر عن دينه ومذهبه وعنصره وجنسيته وكل شيء.

دماءكم: فدماء البشر محرمة.

أولًا: قاتل النصراني الكافر مُذنب آثم له أحكام في الشريعة الإسلامية وكذا اليهودي، فإذا كان هذا هو حال قاتل الكافر فكيف يكون حال المستبيح لدم المسلم القاتل له، فبأي عقيدة يستبيح إراقة هذا الدم.

قال تعالى:{ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (٩٣)}[النساء].

هذا القاتل الذي قتل مسلم وهو متعمدًا وحتى لو كان مُكَفِرًا له بعقيدته الفاسدة واعتقد أنه كافر فليس لديه رُخصة أمام الله أن يقتل إنسان ولو كان كافرًا، هذا لا يجوز وحرام قولًا واحدًا، ويمكن أن يُقام عليه الحد(الحد المنصوص عليه في الشرع الخاص بقاتل أهل الذمة) إذا كان في بلد يقيم شرع الله عز وجل.

فإذا لم تكن هناك رخصة تُبيح قتل الكافر(يهودي – نصراني) فبأي دين وأي رخصة يُقتل المسلم، لكنه الجهل الذي هو آفة الأمة، وأحد الأسباب الذي أوصل الأمة إلى ما هي فيه، لقد أضاع هذا القاتل نفسه وأهلكها وعرِّضها للعذاب الشديد يوم القيامة، فكل من قتل مسلمًا سيُحاسب أيً كان هذا القاتل وأيً كانت مكانته، الحساب شديد فلا حُرمة عند الله تساوي حُرمة الدماء ولهذا بدأ بها النبي ﷺ (فإن دماءكم) أعظم حُرمة عند الله.

أموالكم: وهنا نقول: أن هناك فئة لا يُستهان بها من المسلمين اليوم استحلت أموال الناس بشكل أو بآخر(جمع أموال صدقات وأخذها لنفسه_ وضع اليد على أرض يملكها غيره_أخذ الأشياء وعدم ردها_المماطلة وعدم رد الدين رغم القُدرة على السداد).

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ**» **أخرجه مسلم(١٣٧).**

يقول: ولو كان عود أراك فكيف باستباحة أموال المسلمين، لقد كان عود الأراك لا يُساوي شيء، فإذا كانت الجنة تُحرَّم على مسلم في عود أراك فما الذي سيحدُث له فيما هو أكثر من ذلك؟

الشهيد يُغفر له كل شيء إلا الدين، والشهيد الذي أخذ شملة فاشتعلت عليه نارًا في قبره.

عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي ثَوْرٌ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَالِمٌ، مَوْلَى ابْنِ مُطِيعٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: افْتَتَحْنَا خَيْبَرَ، وَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَبًا وَلاَ فِضَّةً، إِنَّمَا غَنِمْنَا البَقَرَ وَالإِبِلَ وَالمَتَاعَ وَالحَوَائِطَ، ثُمَّ انْصَرَفْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى وَادِي القُرَى، وَمَعَهُ عَبْدٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ مِدْعَمٌ، أَهْدَاهُ لَهُ أَحَدُ بَنِي الضِّبَابِ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَحُطُّ رَحْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ سَهْمٌ عَائِرٌ، حَتَّى أَصَابَ ذَلِكَ العَبْدَ، فَقَالَ النَّاسُ: هَنِيئًا لَهُ الشَّهَادَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَلْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي**

أَصَابَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ المَغَانِمِ، لَمْ تُصِبْهَا المَقَاسِمُ، لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا» فَجَاءَ رَجُلٌ حِينَ سَمِعَ ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشِرَاكٍ أَوْ بِشِرَاكَيْنِ، فَقَالَ: هَذَا شَيْءٌ كُنْتُ أَصَبْتُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «شِرَاكٌ – أَوْ شِرَاكَانِ – مِنْ نَارٍ» أخرجه البخاري(٤٢٣٤).

أشد فتنة هي فتنة المال، وللأسف أمر استحلال أكل أموال الناس بالباطل ينشأ مع الطفل منذ الصغر والوالدين هما اللذان يُربيانه على ذلك بقصد أو بدون قصد، فلو أن الأب أو الأم التي يعود إليها ابنها من مدرسته بشيء لم تعطِه إياه وسألته لمن هذا الشيء وأمرته بإعادته إلى صاحبه وعلمته الحرام والحلال وعنَّفته على هذا الفعل لنشأ على عقيدة راسخة بداخله أنه لا يجوز أخذ مال الغير سواء(أموال _ممتلكات) لأن هذه أمانة ومَن لم يتربى على حفظ الأمانة في الصِغَر فلن يسهُل عليه أمرها في الكِبر، أما إذا استهانت بالأمر وتركته دون أن تُعَلِق وتُربي وتُعلم فيقينًا سينشأ هذا الطفل على استحلال أموال الناس(لقد علمته السرقة وإن لم تكن تقصد ذلك) ومهما تعلم في الكبر فسيكون من الصعب عليه رد الحقوق.

{ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ}الروم:٤١

لو نظرنا لأحوال أغلب المسلمين ورأينا ما هم فيه من سوء الأحوال المعيشية ومن تفشي للأمراض الخطيرة بينهم ثم تساءلنا عن سبب ما هم فيه ؟ لوجدنا أن السبب هو الحرام الذي تربت عليه الأجساد(الرشوة_الربا_السرقة _القروض _أكل أموال الناس بالباطل).

أعراضكم: وتلك أيضًا مصيبة كُبرى حيث انطلاق الألسنة والخوض في أعراض الخلق بغير حق وقد أصبح الكلام على العباد هو أسهل شيء(فُلان فعل وفعل_ فلانة كانت وكانت)وما كانت هذه الكلمات حتى لو تكن خوضًا صريحًا إلا أنها إشارات تستتبع خطوط تحتها لأنها تحمل معاني، فكانت بمثابة الغمز واللمز، وقائلها يعتقد أنه لم يُخطئ بتفوهه بهذه الكلمات عن غيره.

فلننتبه: لأن الكثير من المسلمين يحتاجون الكثير من الأدب والعلم حتى تُحفظ الدماء والأموال والأعراض التي شدد على حرمتها النبي ﷺ وهو أكثر باب يفتح على العبد عداد الذنوب والمعاصي فيجد نفسه يوم القيامة وقد حمَّلها ما لا تطيق وميزان السيئات ثقيل.

_وقد شدد النبي ﷺ على هذه الأمور لأن مقاصد الشريعة جاءت لحفظ ستة أشياء(الدين_العقل_العرض_المال_النفس_النسب).

ثم انتقل الإمام إلى باب آخر

بَابٌ: (العِلمُ قَبلَ القَولِ وَالعَمَلِ)

لِقَولِ اللهِ تَعَالَى: **{ فَاعلَم أَنهُ لاَ إِلَهَ إِلا اللهُ} [محمد:١٩].**

قال الحافظ ابن حجر: قال ابن المنير: أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل؛ فلا يعتبران إلا به؛ فهو متقدم عليهما؛ لأنه مصحح للنية المصححة للعمل.

بيَّن المُصنف أمر هام جدًا في هذا العنوان الذي عنون به الباب، وقد سبق لنا أن أشرنا إلى أن الإمام البخاري في كل عنوان يضعه يكون له عِلَّة وحكمة في اختياره لهذا العنوان.

فلما وضع هذا العنوان أراد أن يُبيِّن أن العلم لابد أن يكون قبل القول والعمل.

فلماذا يكون العلم قبل القول والعمل ؟لأن أي قول أو أي عمل لا تسبقه نية حسنة فهو مردود باطل.

ابتداءً : لابد أن يسبق العمل النية الحسنة(لماذا أعمل هذا العمل؟)

بالعلم تستطيع أن تصل إلى النية وبدونه لا تستطيع لأن الأمر سيختلط عليك(فالشيطان سيُلبِّس عليك الأمر وكذا الهوى والنفس الأمارة بالسوء).

أما مع وجود العلم العميق الرصين فإن صاحبه يستطيع أن يُميِّز ويستخلص من القلب الشوائب ويبحث عن الصدق والإخلاص فإذا لم يوجد فإنه يعمل على ضبط هذا الأمر في قلبه ولا يكون ذلك إلا بالعلم.

وهذا العلم يدفع الإنسان إلى تصحيح القول والعمل ولذلك قال: العلم قبل القول والعمل، فالعلم هو المصحح للنية و بها يُقبل القول ويُقبل العمل.

ثانيًا: إذا لم يوجد العلم كان من السهل الوقوع في البدع والشركيات.

الإنسان الجاهل يمكن أن يقع في البدع كما أنه يمكن أن يقول قولًا فيه شِرك، أو قول فيه بدعة أو على غير مراد الله وعلى غير هدي رسول الله ﷺ وهذا أيضًا لا يُقبل لأن شرطا القبول(الإخلاص_الإتباع).

ومَنْ كان يفتقر إلى العلم لن يعرف حدود الإخلاص كما أنه لا يقدر على التمييز بين العمل الذي يتسم بالإخلاص والعمل الذي يدخله حظ النفس أو الرياء، وكذا العمل الذي تنقسم فيه النية بين جزء إخلاص وجزء حظ نفس.

يقول الإمام البخاري:-

لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى **{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ}**، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَرَّثُوا الْعِلْمَ مَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ :**{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ**

الْعُلَمَاءُ}، وقَالَ: { وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ}، { وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ}، وقَالَ:{هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}، وقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)،(وَإِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ).

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: لَوْ وَضَعْتُمْ الصَّمْصَامَةَ عَلَى هَذِهِ وَأَشَارَ إِلَى قَفَاهُ ثُمَّ ظَنَنْتُ أَنِّي أُنْفِذُ كَلِمَةً سَمِعْتُهَا مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ تُجِيزُوا عَلَيَّ لَأَنْفَذْتُهَا.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كُونُوا رَبَّانِيِّينَ حُلَمَاءَ فُقَهَاءَ وَيُقَالُ الرَّبَّانِيُّ الَّذِي يُرَبِّي النَّاسَ بِصِغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ.

يقول سفيان بن عيينة عن فضل العلم: ألم تسمع قوله حين بدأ به فقال فاعلم أنه لا إله ألا الله ثم أمره بالعمل بعد ذلك فقال واستغفر لذنبك وللمؤمنين وهي شهادة أن لا إله إلا الله لا يغفر إلا بها من قالها غفر له قال قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقال وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يوحدون وقال استغفروا ربكم إنه كان غفارا يقول وحدوا والعلم قبل العمل ألا تراه قال اعلموا إنما الحياة الدنيا لعب ولهو إلى قوله إلى مغفرة من ربكم وجنة وقال اعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ثم قال احذروهم بعد وقال واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه ثم أمرنا بالعمل به..

فعندما أراد سفيان أن يُبيِّن فضل العلم قال: ألم تسمع قول الله عز وجل (فاعلم)ثم أمره بالعمل ثم اتبع ذلك بقوله (وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) محمد:١٩.

أولًا : فاعلم بماذا ؟ بلا إله إلا الله (التوحيد) أعظم شيء في الدنيا

ثانيًا : واستغفر لذنبك :لأن الاستغفار لا يُقبل إلا من مُوحد.

قال تعالى:**{ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ (٣٨)}[الأنفال].**

قال أبو جعفر: قوله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : قل: يا محمد **(للذين كفروا)** من مشركي قومك **(إن ينتهوا)**، عما هم عليه مقيمون من كفرهم بالله ورسوله، وقتالك وقتال المؤمنين ، فينيبوا إلى الإيمان يغفر الله لهم ما قد خلا ومضى من ذنوبهم قبل إيمانهم وإنابتهم إلى طاعة الله وطاعة رسوله بإيمانهم وتوبتهم فالتوحيد هو أهم شيء ثم يكون الاستغفار.

قال تعالى:**{ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣)}[الأنفال] (يُوحدون).**

قال تعالى: **{ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠)}** [نوح] (وحدوا).

قال تعالى: **{ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠) سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١)}[الحديد]**

إذن فمن يُرِدْ أن يزهد في الدنيا وينشغل بأمر الآخرة فعليه أن يُعلِق قلبه بحب الله ورسوله ﷺ والعمل لهذا الدين، فلابد من تحصيل العلم وهذا واضح من قوله **(اعلموا أن الحياة الدنيا لعب ولهو)** فكيف يعلم العبد أن الدنيا لعب ولهو من غير علم؟ بالعلم يعرف الإنسان إذا وقع في الفخر أن هذا فخرًا فيُراجع نفسه، وعندما يتكلم عن أمر الدنيا وتأخذه في تيارها يستشعر ذلك فيتوقف وينظر إلى عمره في أي شيء يضيع، التمييز بين هذه الأمور لا يكون إلا بالعلم.

قال تعالى:{ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٨)}[الأنفال].

فبين أن الأموال والأولاد فتنة، فإذا لم يوجد علم هل يكون من السهل على الإنسان معرفة فتنة الأموال أو فتنة الأولاد؟ لابد من العلم حتى نعلم متى يكون المال أو الأولاد فتنة ومتى لا يكون فتنة؟ وهل كل من أوتي المال أو الأولاد مفتون؟ لا ولكن كلام الحق تبارك وتعالى قال هذا لأن هذا هو الغالب (كما يقول أهل التفسير) فأغلب الأموال وأغلب الأولاد فتنة ولابد من ضوابط شديدة جدًا حتى لا يكون الولد أو المال فتنة وهذه الضوابط لا يتوصل إليها الشخص إلا بالعلم والفهم.

وقال تعالى: **{اعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤١)} [الأنفال]**

وحتى في تقسيم الغنائم نحتاج إلى العلم، فهناك تقسيم في القرآن لهذه الغنائم وبالتالي يجب أن يكون لدينا الفقه والعلم بالأحكام والآيات الوارد فيها هذا التقسيم.

العلم المرجو هو: إقرار القلب ومعرفته ثم مطالبة النفس بالعمل بمقتضاه.

هذا هو العلم الذي نبحث فيه، فلا كثرة رواية ولا دراية ولا حفظ متون ولا آيات وأحاديث ولا حفظ لأقوال العلماء، بالفعل كل هذا جميل شريطة أن يكون هذا العلم راسخ في القلب بحيث أنه يُطالب النفس بالعمل بمقتضى هذا العلم (وهذا يأتي عند المَحَكْ وليس في الوقت العادي).

مثال: مَن يتكلم عن حسن الخلق يعرف وقت المحك هل هو بالفعل اكتسب خُلقًا حسنًا أم لا؟ وكذا الكبر وأمراض القلوب وقت المحك هل انتفع صاحب العلم بهذا العلم فطهر قلبه أم لا ؟ وهكذا في كل جزئية يكون اختبار الإنسان لنفسه عند المحك وليس في حالة السكون أو السكينة.

فمن أراد أن يعرف قدر قلبه وحاله مع الله؟ وهل العلم رسخ وحصل الانتفاع به وثبت في القلب وبدَّل النفس والحال؟

فلينظر إلى حاله في الخلوات وعند الأزمات.

فإذا ما اختلى بنفسه مع الله فما هو حاله مع ربه وفي اللحظات التي لا يراه فيها أحد إلا الله ، وفي الأزمات والنكبات وعند الابتلاءات كيف يكون الحال مع الله.

هنا يظهر هل العلم نافع أم أنه من العلم الذي قال فيه النبي ﷺ :

«اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ، الْقَبْرِ اللهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا»أخرجه مسلم(٢٧٢٢).

بيَّن الإمام السعدي رحمه الله: طريقة ليصل بها الشخص إلى تحقيق هذه الكلمة (التوحيد): فقال: فاعلم أنه لا إله إلا الله.

كيف نصل إلى إقامة هذه الكلمة ؟ وكيفية تحقيقها؟

فالكل يقول لا إله إلا الله ولكن المقصود هو قولها باللسان ورسوخ معناها في القلب وترجمة هذا الرسوخ في صورة عمل تقوم به الجوارح وتكون النفس أيضًا مُشبعة بهذه الكلمة.

والطريق إلى العلم بأنه لا إله إلا الله أمور:

أحدها: بل أعظمها تدبر أسمائه وصفاته وأفعاله الدالة على كماله وعظمته وجلاله فإنها توجب بذل الجهد في التأله والتعبد للرب الكامل الذي له كل حمد ومجد وجلال وجمال.

إذن أول شيء بل أنه أعظم الأشياء التي يتحقق بها لا إله إلا الله وهي الكلمة التي من أجلها خلقت السماوات والأرض وابتلي العباد كي يُحققون هذه الكلمة هو تدبر الأسماء والصفات بشكل يُستدل به على أفعاله التي تتسم كلها بالكمال والعظمة والجلال، فأي اسم من أسماء الله يدل على صفة وهذه الصفة لها مقتضيات وآثار، وآثار هذه الصفات ظاهرة على العباد(الرحمة_العفو _الكرم_

المغفرة _كل الصفات) فإذا ما عرف الإنسان هذه الآثار فإنه يزداد تعظيمًا لله وإجلالًا له وعند ازدياد هذه المعاني في القلوب فإنه يجهد نفسه ويبذل أقصى ما عنده للتأله لهذا المعبود الواحد الأحد ويعبده حق عبادته.

لم يعبد الكثير من العباد ربهم حق عبادته فلماذا ؟

لأن معاني العظمة والكمال والجلال واستشعار الأفعال التي تدل على القدرة والعطاء والكرم ضعيفة في القلوب (فهي ليست موجودة بالكلية عند العوام_ وهي عند طلاب العلم موجودة بصورة سطحية جدًا) ولذلك فإن طالب العلم عندما يأتي ليبذل للدين ويُعطي له فإن الجسد يكون ثقيل والنفس تريد الابتعاد فالتأله ضعيف والعبادة كذلك، فلا قيام ولا صيام(تطوع) والقرآن إذا قُرئ فإن ذلك يكون على وجه السُرعة ومن غير تدبر للمعاني، هذه هي الأحوال لماذا؟ كما قُلنا السبب في ذلك يرجع إلى ضعف تعظيم الرب في القلب.

أنظروا: إلى أفعال الله وإلى جلاله وكماله وإذا حدث هذا فإن التأله لله يعظُم في القلب .

الثاني: العلم بأنه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير فيعلم بذلك أنه المنفرد بالألوهية.

وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية أيضًا:

فنعلم أن الله عز وجل انفرد بالخلق والملك والتدبير وإذا ما توصل القلب إلى استشعار هذه المعاني فإنه لن يشعر بالاضطراب ولا الحزن ولا يأخذ شيئًا ليس من حقه ولا يندم على أمرٍ فاته لأنه يمتلك اليقين على أن الله مدبر الأمر من السماء إلى الأرض، فهو المدبر لأمر النملة في جحرها والطير في السماء

والحوت في البحر، المدبر لأمر الكون كله هو الله فلماذا الحزن والهم والقلق؟ علينا أن نأخذ بالأسباب ونفوض الأمر إلى الله فيدبر الأمر بما فيه الخير للإنسان وإذا ما دبر أمر العبد بما لا يُوافق هواه فإنه يرضى بقضاء الله أيًا كان لأنه يعلم أن له صفات الكمال والجلال فهو العليم الحكيم الغني الذي يُعطي بحكمة ويمنع بحكمة وعلم، فيُفوض أمره إلى ربه في العطاء الذي لا يُنقص من خزائنه شيء والمنع الذي لا يزيد في خزائنه شيء.

العلم بأسماء الله وصفاته يجعل الإنسان يفوض أمره كله إلى الله(في أمور الدنيا) فيكون كمال الرضا بقضاء الملك الذي له صفات الكمال والجمال والجلال.

الثالث: العلم بأنه المنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة الدينية والدنيوية فإن ذلك يوجب تعلق القلب به ومحبته والتأله له وحده لا شريك له.

أي أن اليقين لو تمكن من قلب الإنسان فسكن فيه وعلم على أساسه أن كل نعمة هو فيها هي من عند الله سبحانه سواء نعم الدنيا أو الدين، فلا حول ولا قوة له إلا بتوفيق الله عز وجل، فإن هذا يؤدي إلى عبادة الله وحده وعدم الإشراك به، إلى جانب عدم الالتفات للبشر لا بالعمل ولا بالقول ولا بالقلب، فالله هو الواحد الأحد وقلوب العباد بين يديه يُصرفها كيف يشاء إلى من يشاء.

الرابع: ما نراه ونسمعه من الثواب لأوليائه القائمين بتوحيده من النصر والنعم العاجلة ومن عقوبته لأعدائه المشركين به فإن هذا داع إلى العلم بأنه تعالى وحده المستحق للعبادة كلها.

القراءة في سيِّر السلف الصالح ومحاولة معرفة كيف أنه ترتب على صلاحهم وأحوالهم وعبادتهم لله عز وجل وتجرُّد التوحيد والإخلاص في قلوبهم وحب الله والتأله له والعطاء بدون أي مُقابل الوصول إلى القِمة، هؤلاء لم يُقدموا ما قدموه انتظارًا لمدح ولا منصب ولا امتلاك لقلوب العباد بل أن أعمالهم كلها كانت لله والمراد بها رضا الله سبحانه.

فعندما يرى المسلم ثواب هؤلاء القوم وكيف أن الله رفع شأنهم وذكرهم فنالوا جائزتهم في الدنيا قبل الآخرة، أي أن كل مَن تجرد وحقق التوحيد لله وتعبد لله على الوجه الذي يُرضي الله سبحانه وتعالى وملأ قلبه بحب الله فإن الجائزة تأتي في الدنيا قبل الآخرة فقد رفع الله ذكرهم في الدنيا قبل الآخرة الخامس: معرفة أوصاف الأوثان والأنداد التي عبدت مع الله، واتخذت آلهة وأنها ناقصة من جميع الوجوه فقيرة بالذات لا تملك لنفسها ولا لعابديها نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ولا ينصرون من عبدهم ولا ينفعونهم بمثقال ذرة من جلب خير أو دفع شر، فإن العلم بذلك يوجب العلم بأنه لا إله إلا الله وبطلان إلهية ما سواه.

والمقصود بذلك: هو معرفة الشيء الذي يحجب عن العبد التوحيد ويجعل في توحيده خلل وتفتقر أعماله إلى الإخلاص، هذا الشيء هو الأنداد والشركاء سواء كان هذا في زمن الكفار بعبادة الأصنام أو في هذا الزمن(الذي يسير كالأعمى خلف شيخ_ أو الذي يعتقد أن هناك من ينفع أو يضر غير الله سبحانه_عُبَّاد القبور) هؤلاء أضاعوا أعمارهم في ضلال حيث أنهم اتبعوا مَن لا يملك من أمر نفسه شيء، فعندما يعلم الإنسان أن هذا المعبود الذي يعبده من

دون الله لا يملك له نفع ولا ضر ولا موت ولا حياة ولا نشور فإنه يرجع عن هذا الضلال ويمنع نفسه من أن تسلك هذا الطريق الذي يؤدي بها إلى الهلاك.

السادس: اتفاق كتب الله على ذلك وتواطؤها عليه.

السابع: أن خواص الخلق الذين هم أكمل الخليقة أخلاقاً وعقولاً ورأياً وصواباً وعلماً وهم الرسل والأنبياء والعلماء الربانيون قد شهدوا لله بذلك.

هؤلاء حققوا معنى لا إله إلا الله فشهدوا بها ودعوا إليها وعلينا أن نقتدي بهم

الثامن: ما أقامه الله من الأدلة الأفقية والنفسية التي تدل على التوحيد أعظم دلالة تنادي عليه بلسان حالها بما أودعها من لطف صنعته وبديع حكمته وغرائب خلقه.

لو تواطأ في قلب الإنسان الأدلة السمعية والأدلة الكونية على عظمة الله فإن الإيمان سيرسخ في قلبه كالجبال الرواسي، وفي حال الاضطراب أو أي شُبه تُلقى عليه فإنه لا يتزلزل بالشُبه أو الخيالات أو التُرهات بل على العكس نجده عندما يرى أصحاب هذه الضلالات فإنه يزداد إيماناً وتثبيتًا واعتصامًا بحبل الله المتين كما كان حال الصحابة والتابعين وكل إنسان عنده عقيدة في كل زمان

قال سبحانه وتعالى:{ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨)}[فاطر]

يقول أهل العلم في تفسير الآية: إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل وكانت الخشية له أعظم وأكثر.

فهل علمتم لماذا ضعُفت الخشية في قلوب الكثير من المسلمين ؟ ضعف العلم بالله ابتداءً وقبل العلم بشرعه عز وجل، فنحن لا نعلم العلم الكامل عن الله وبالتالي فإن الخشية في القلوب ضعيفة.

فما هي إشكالية ضعف الخشية في القلوب؟

تسهُل جدًا المعصية (فتسهل المعاصي على الإنسان كما يسهل عليه سكب الماء من الإناء، فتخرج من اللسان والجوارح بكل سهولة) وتصعُب جدًا الطاعة (فيجد المشقة في الصلاة والصيام والبذل لله والعطاء وإخراج الصدقات).

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: والمعنى أنه لا يخشاه إلا عالم فقد أخبر الله تعالى أن كل من خشي الله فهو عالم.

كما قال في آية أخرى: **{ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٩)}[الزمر].**

ومعنى قانت: أي منقطِعٌ هذا الذي يعبد اللهَ و يصلي له في الليل و يرجوه و يتهجَّد له، و يبتهل إليه و يتوكَّل عليه، و يتلو كتابَه و يُذكِّر عبادَه به، هذا الذي شُغلُه الشاغِلُ معرفةُ اللهِ و تعريفُ الناس به هذا الذي انقطع إلى اللهِ

فهل يستوي هذا مع مَن لا يعرف فضل قيام الليل ولا قدر مَن يُناجي ومَن هو الله ؟ هذان لا يستويان أبدًا.

الخشية أبدًا مُتضمنة للرجاء ولولا ذلك لكانت قنوطًا.

أي خشية لابد فيها من الرجاء ولا يصح أن يتوقف الأمر بالعبد عند الخوف فقط لأن ذلك يصل به إلى القنوط من رحمة الله.

إنما الخشية التي هي على الوجه الصحيح هي التي يقترن فيها الخوف بالرجاء، فنخاف العذاب ونرجو الرحمة.

كما أن الرجاء يستلزم الخوف ولولا ذلك لكان أمنا؛

فنرجو رحمة الله ونرجو أن يقبل أعمالنا إلى جانب ضرورة وجود الخوف المصاحب لهذه الرحمة ، لأن الرجاء وحده يصل بصاحبه إلى درجة الأمن، ولو وصل الشخص إلى هذه الدرجة فهو في خسران مبين كما جاء في كتاب الله

{ فأهل الخوف لله والرجاء له هم أهل العلم الذين مدحهم الله. }

وقد روي عن أبي حيان التيمي أنه قال: " العلماء ثلاثة "، فعالم بالله ليس عالما بأمر الله، وعالم بأمر الله ليس عالما بالله، وعالم بالله عالم بأمر الله.

فالعالم بالله هو الذي يخافه والعالم بأمر الله هو الذي يعلم أمره ونهيه . وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه **قال**: **(والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بحدوده)**

١- **عالم بالله ليس عالما بأمر الله:** والمقصود هو: أنه قد يكون الإنسان عالم عن الله عز وجل فيما يخص الأسماء والصفات(مثلًا) ولكنه لا يعرف شيء عن أمر الله (أحكام الشريعة)، وهذا الشخص قد اكتفى بجانب واحد وترك الجانب الآخر، هنا يكون العلم ناقصًا.

٢- **عالم بأمر الله ليس عالمًا بالله:** وهذا هو حال الكثير من المُلتزمين ممن يعرفون الحرام والحلال(يعرفون الأحكام)ولكنهم لا يعرفون صاحب الأحكام، وهنا تكون الطامة وسبب عدم التوحيد وضعف الإيمان في القلب ، وأعظم الأسباب وأجلها على الإطلاق في ضعف الإيمان والتوحيد هو عدم معرفة الله سبحانه وتعالى

٣- **عالم بالله عالم بأمر الله:** وهذا هو تاج الدُعاة والمسلمين والحاصل على أعظم شيء (نسأل الله أن نكون منهم) فهو عالم عن الله (يعلم من هو الله بأسمائه وصفاته وجلاله وكماله) فامتلأ القلب بعظمة الرب سبحانه وبالتالي صعُب عليه معصية الإله في الخلوات وفي الظاهر ولعلمه الجازم بالله، ثم علم بشريعة الله(ولا أقل من العلم بفرض العين_الحرام والحلال والأحكام التي شرعها الله لحكم العباد).

يقول أحد أهل العلم: أخلاق علماء **الآخرة** خمس :-

خمس من الأخلاق هي من علامات علماء الآخرة:

(فإذا كان الإنسان من أبناء الآخرة ووصل إلى مرحلة من العلم فإنه سيجد لديه خمسة أخلاق) ومَن يجدهم في نفسه فإنه يكون من علماء الآخرة ، والعكس إذا لم يكونوا فيه فليس كذلك.

الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وإيثار الآخرة على الدنيا وهو الزهد

١- **فأما الخشية:** فمن قوله تَعَالَى: **{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}**

إذن العالم لابد أن يكون قد حقق الخشية.

٢- **وأما الخشوع:** فمن قوله تعالى: **{ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا}.**

٣- **وأما التواضع:** فمن قوله تعالى: **{ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ}.**

فأمر النبي ﷺ أن يتواضع لأهل الإيمان، فلا داعي للاستعلاء أو الكبر، لأننا أحيانًا نرى أن طالب علم قد استعلى بعلمه وإذا ما تحدث إلى الناس تكون الطريقة فيها شيء من الكبر والاستعلاء، وهذا ليس من أخلاق العلماء أو طالب العلم.

٤- **وأما حسن الخلق:** فمن قوله تَعَالَى: **{ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ }.**

فتكون المعاملة مع العباد بالرحمة لا بالفظاظة والغلظة والشدة التي تُنفِّر النفوس، وكلما كان أسلوب الداعي مُتسم باللين والرفق في القول والعمل والأمر فإن القلوب تجتمع حوله والعكس، ولكن ليس المقصود بالرفق واللين أن نصل إلى درجة تمييع المسائل أو القضايا كما سبق أن أوضحنا ذلك والمطلوب هو التوسُط في طريقة الدعوة.

٥- **وأما الزهد:** فمن قوله تعالى: **{ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ}.**

قال هذا القول: أهل العلم عندما خرج قارون في زينته على العوام فقالوا **{يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}** فرد عليهم أهل العلم قائلين **{ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا}.**

الويل هو: عذاب أو هَلاك أوْ وَادٍ في جَهنّم.

فلما تمنى العوام مثل منزلة قارون ردهم أهل العلم لأن أهل العلم زُهَّاد أما أهل الدنيا فإنهم يهتمون بالظاهر ولهذا فقد حسدوا قارون على زينته رغم ما هو عليه من كفر فأوقفهم أهل العلم وقالوا ثواب الله أعظم من كل ما هو فيه لأن كل ما هو فيه سيزول وبالفعل زال وخُسِف به الأرض.

علامة أهل العلم الزُهد في الدنيا:

وهذا يعني عدم الالتفات إلى أحوال أهل الدنيا وعدم الاعتراض على قسمة الملك فالقلب زاهد غير مُتعلِّق بشيء أو بشخص.

قال تعالى: **{وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ(٤٣)} [العنكبوت]**

بيَّن أن الأمثال حين تُضرب فإنه لا يعقلها ولا يستفيد منها إلا أهل العلم فلماذا؟ لأن الأمثال الواردة في القرآن متعلقة بالأحكام ومتعلقة بأمور تحتاج إلى علم وبحث ودراية فإذا لم يكن الإنسان من أهل العلم فلن يستطيع فهم المثل وبالتالي لن يستفيد منه.

وقد ذكر بعض السلف: أنه إذا مرَّ عليه مثل وقرأه ولم يفهمه فإنه كان يبكي على حاله ويقول لست من العالمين لأنه كان يستحضر قول الله (وهذا من حُسن التدبر وحسن التَّفَهُم لمعاني كتاب الله).

ذكر البخاري قوله تعالى:

{ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠)}[الملك].

المقصود بالسمع الوارد في الآية هو : سمع الفهم والوعي والعقل ثم الاستجابة بأن يقوده العقل إلى العمل بما سمع وعلم ، وليس سمع الجوارح.

قال أهل التفسير: في الآية بشارة للمؤمنين لأنهم كانوا يسمعون ويعقلون وبهذا السبب حُجِبُوا عن النار وهذا هو مفهوم المخالفة

ثم ذكر قوله تعالى: { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٩)}[الزمر].

من المحال أن يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون كما لا يستوي أصحاب النار مع أصحاب الجنة أبدًا لن يحدث هذا،

ذكر أيضًا حديث النبي ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»

أخرجه البخاري(٧١)

يقول شيخ الإسلام: كُلُّ مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا لَا بُدَّ أَنْ يُفَقِّهَهُ فِي الدِّينِ، فَمَنْ لَمْ يُفَقِّهْهُ فِي الدِّين ، لَمْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا، وَالدِّينُ: مَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ؛ وَهُوَ مَا يَجِبُ عَلَى الْمَرْءِ التَّصْدِيقُ بِهِ وَالْعَمَلُ بِهِ، وَعَلَى كُلِّ أَحَدٍ أَنْ يُصَدِّقَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ، وَيُطِيعَهُ فِيمَا أَمَرَ، تَصْدِيقًا عَامًّا، وَطَاعَةً عَامَّةً.

الفقه في الدين شرط في حصول الفلاح فلا بد من معرفة الرب تعالى ولا بد مع معرفته من عبادته.

وهذا يعني : أن الفقه في الدين لا يتوقف فقط على فهم الأحكام ولكن لابد أن يدفع هذا الفقه صاحبه إلى العمل، ومن حصَّل العلم وتوقف عن العمل به فإن هذا لا يدخل في معنى الحديث بل يكون من العلم الذي استعاذ منه النبي ﷺ لأنه لم يستفد منه.

قال البخاري: وَإِنمَا العِلمُ بِالتعَلمِ: أي أن العلم المعتبر هو العلم الذي تعلمناه من الرسل في زمن الرسل ثم بعد ذلك فإننا نأخذ العلم من الكتاب والسنة

قال الإمام البخاري: وقَالَ أَبُو ذَرٍّ: «لَوْ وَضَعْتُمُ الصَّمْصَامَةَ عَلَى هَذِهِ – وَأَشَارَ إِلَى قَفَاهُ – ثُمَّ ظَنَنْتُ أَنِّي أُنْفِذُ كَلِمَةً سَمِعْتُهَا مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ تُجِيزُوا عَلَيَّ لَأَنْفَذْتُهَا» **سنن الدارمي (٥٦٢).**

نص الحديث: حَدَّثَنِي أَبُو كَثِيرٍ، حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ جَالِسٌ عِنْدَ الْجَمْرَةِ الْوُسْطَى، وَقَدِ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ يَسْتَفْتُونَهُ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَوَقَفَ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَلَمْ تُنْهَ عَنِ الْفُتْيَا؟ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ فَقَالَ: **«أَرَقِيبٌ أَنْتَ عَلَيَّ؟ لَوْ وَضَعْتُمُ الصَّمْصَامَةَ عَلَى هَذِهِ – وَأَشَارَ إِلَى قَفَاهُ – ثُمَّ ظَنَنْتُ أَنِّي أُنْفِذُ، كَلِمَةً سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ تُجِيزُوا عَلَيَّ، لَأَنْفَذْتُهَا».**

الصحابي الجليل أبا ذر هو: جُندب بن جنادة الغفاري وقيل جندب بن سكن وقيل برير بن جنادة وقيل برير بن عبد الله وهو أحد السابقين الأولين من نجباء أصحاب محمد ﷺ قيل كان خامس خمسة في الإسلام ثم إنه رد إلى بلاد قومه فأقام بها بأمر النبي ﷺ له بذلك فلما أن هاجر النبي ﷺ هاجر إليه أبو ذر رضي الله عنه ولازمه وجاهد معه وكان يفتي في خلافة أبي بكر عمر وعثمان.

من مناقبه رضي الله عنه:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ، وَلَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ، مِنْ رَجُلٍ أَصْدَقَ لَهْجَةً مِنْ أَبِي ذَرٍّ» سنن ابن ماجة(١٥٦)، الترمذي(٣٨٠١).

بيَّن النبي ﷺ فضل أبي ذر فقال: ما أقلت الغبراء: أي ما حملت الأرض. والغبراء: الأرض. والخضراء: السماء. (لهجة) اللهجة اللسان وما ينطق به من الكلام.

الذي مدحه هو النبي ﷺ وكفى بذلك منزلة ومنقبة وفضل أن يُثني عليه النبي ﷺ أفضل الخلق، فقال أنه أصدق الخلق ومن المعروف أن الأنبياء يخرجون من هذه المقارنة.

فقيل أنه لم يكن يتكلم باللغو ولا بكلمة فيها تعريض ولم يكن يكذب بل كان الصدق عنده علامة ظاهرة، ومع هذا فقد صدر منه في يوم أن وضع رجله على عبد أسود وقال يا ابن السوداء.

عَنِ المَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلاَمِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ» أخرجه البخاري(٣٠).

فمع كل ما ذكرناه من مناقب لهذا الصحابي الجليل إلا أنه فعل هذا الفعل.

فلماذا نذكر هذا الأمر؟ لأن العلماء في وقتنا هذا لو صدر من أحدهم أفعال أقل من هذا فإن الناس ستنتقدهم بل وسيتوقفون عن الأخذ منهم وهذا يرجع إلى عدم الفهم الصحيح عن أحوال البشر، فنحن بشر ولسنا ملائكة، ومن الوارد أن نقع في خطأ أو زلة أو أن نضعف في بعض الأحيان أو حتى الوقوع في كبيرة فيغفر الله، وعندنا في ذلك أدلة كتاب وسنة.

قال تعالى: **{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥)}[آل عمران]**

كيف تقع الفاحشة من المتقين؟ القائل هو الله عز وجل.

فيمكن أن يكون شخص من المتقين ومع ذلك يقع في زلة ولكن ليس هذا طبعه ولا ديدنه، فلا نتهم مَن يحدث منه هذا ولا نفقد الثقة فيه وفي العلماء والدعاة، وارد أن يكون شخص منزلته عالية جدًا في الدين ثم يستزله الشيطان فيسقط في الخطأ.

المراد من الكلام: أن يكون هناك شيء من العدل والإنصاف فَنَزِنْ الناس بقدر ما لديهم من مناقب وفضائل ومن زلات.

من معانى الحديث:

الصمصامة: السيف القاطع الصارم الذي لا ينثني.

أنفذ: أمضي وأبلغ، **تجيزوا علي:** تكملوا قتلي.

معنى الحديث : أن السيف لو وضع على قفاه وعنده علم يعلمه عن رسول الله ﷺ فإنه سيُبلغه ولو قُطعت رأسه لأنه يعلم خطورة كتمان العلم، هؤلاء كانوا يعلمون فيعملون بما علموا لأنهم يفهمون هذا العلم، فالآيات نقرأها كثيرًا وتمر علينا بمجرد القراءة ولكن هؤلاء كانت تستوقفهم الآيات فيقرؤون ويفهمون ويتدبرون ويعملون (الفهم في العلم) تلك كانت أحوالهم فاستحقوا أن يكونوا أصحاب خير خلق الله.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك